

الإِنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين

والذي يدل على ذلك أنا أجمعنا على أنه يجوز أن يقام الفعل الماضي مقام الفعل المستقبل كما قال تعالى (وإذ قال إِبْرَاهِيمُ يا عيسى بن مريم) أي يقول وإذا جاز أن يقام الماضي مقام المستقبل جاز أن يقام مقام الحال .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا إنما قلنا إنه لا يجوز أن يقع حالا وذلك لوجهين أحدهما أن الفعل الماضي لا يدل على الحال فينبغي أن لا يقوم مقامه والوجه الثاني أنه إنما يصلح أن يوضع موضع الحال ما يصلح أن يقال فيه الآن أو الساعة نحو مررت بزيد يضرب ونظرت إلى عمرو يكتب لأنه يحسن أن يقترن به الآن أو الساعة وهذا لا يصلح في الماضي فينبغي أن لا يكون حالا ولهذا لم يجر أن يقال ما زال زيد قام وليس زيد قام لأن ما زال وليس يطلبان الحال وقام فعل ماض فلو جاز أن يقع حالا لوجب أن يكون هذا جائزا فلما لم يجر دل على أن الفعل الماضي لا يجوز أن يقع حالا وكذلك لو قلت زيد خلفك قام لم يجر أن يجعل قام في موضع الحال لما بينا ولا يلزم على كلامنا إذا كان مع الماضي قد حيث يجوز أن يكون حالا نحو مررت بزيد قد قام وذلك لأن قد تقرب الماضي من الحال فجاز أن يقع معها حالا ولهذا يجوز أن يقترن به الآن أو الساعة فيقال قد قام الآن أو الساعة فدل على ما قلناه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين أما احتجاجهم بقوله تعالى (أو جاءوكم حصرت صدورهم) فلا حجة لهم فيه وذلك من أربعة أوجه الوجه الأول أن تكون صفة لقوم المجرور في أول الآية وهو قوله تعالى (إلا الذين يصلون إلى قوم) والوجه الثاني أن تكون صفة لقوم مقدر ويكون التقدير فيه أو جاءوكم قوما حصرت صدورهم والماضي إذا وقع صفة لموصوف محذوف جاز أن يقع حالا بالإجماع .

والوجه الثالث أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قال